قد علم الأعداء

هاجى عبيد اللّه بن قطبة العذري جميلاً، فهجاه جميل واستعلى عليه، فأعرض عنه عبيد اللّه. واعترضه أخوه جواس ابن قطبة زوج أم الحسين أخت بثينة، وكان جميل يذكرها في شعره، فهجاه وذكر أختاً له فقال فيها:

[الطويل]

إِلى فَخِذَيْها العَبْلَتَيْن[1]، وكانتا،
بعهديَ، لفاوَين[2]، أُرْدِفَتا ثِقْلا

وكان جميل يحتقره ولا يهاجيه، حتى قال ذلك، فغضب وواعده للمراجزة، فحضر بشر كثير في وادي القرى ليسمعوا مراجزتهما، فقال جميل:

[الرجز]

يا أُمّ عبد الملِكِ اصرِميني،
فبيّني صَرميَ، أو صِلِيني[3]
أبكي، وما يُدريكِ ما يُبكيني،
أبكي حِذاراً أن تُفارِقِيني

(١) العبْلتين: الضّخْمتين.
(٢) لفّاوين: ملفوفتين ـ مستديرتين.
(٣) أم عبد الملك: كنية «بثينة».
ورد الرجز في الأغاني ٨: ١٣٦ـ ١٣٧.

وتجعلي أبْعَدَ منّي دوني،
إنّ بني عمّكِ أوعَدوني

أن يقطعوا رأسي، إذا لَقُوني،
ويقتُلوني، ثمّ لا يَدُوني[١]

كلّا، ورَبِّ البيتِ، لو لَقُوني
شَفعاً ووَتراً، لَتَواكَلوني[٢]

قَد عَلِمَ الأعداءُ أنّ دوني
ضرباً، كإيزاغِ المَخاضِ الجُونِ[٣]

ألا أُسُبُّ القومَ، إذ سَبّوني؟
بلى، وما مرّ على دَفِينِ[٤]

وسابحاتٍ بِلوى الحَجُونِ،
قَد جرّبُوني، ثمّ جَرّبُوني[٥]

حتى إذا شابُوا وشَيّبُوني،
أخزاهُمُ اللَّهُ، ولا يُخزيني!

أشباهُ أعْيارٍ على مَعِينِ،
أحْسَسْنَ حِسَّ أسَدٍ حَرُونِ[٦]

---

(١) يدوني: يدفعون دِيَتي.
(٢) الشفع: الزَّوْج ـ والوتر: الفرد ـ تواكلوني: وكل بعضهم بعضاً بي، خشيةً مني.
(٣) إيزاغ المخاض: إفراغ البول دفعةً واحدة من النُوق الحوامل. الجون: السَّود.
(٤) دفين: موضع. وقوله: وما مر على دفين، الواو للقسم، والمراد: ما مر من الحجاج إلى بيت اللَّه الحرام.
(٥) وسابحات: الخيل لسبحها بيديها. اللوى: ما التوى من الرمل. الحجون: جبل بأعلى مكة وهو مقابر أهلها.
(٦) الأعيار، جمع عير: وهو الحمار الوحشي. المعين: الماء الجاري على وجه الأرض. حرون: أي لا يبرح مكانه.

فـهـنّ يـضـرِطـنَ مـن الـيَـقِـيـنِ،
أنـا جَـمِـيـلٌ، فـتَـعَـرّفُـونـي[١]!

ومـا تـقـنّـعْـتُ، فـتُـنـكـرونـي،
ومَـا أُعَـنّـيـكُـمْ، لـتـسـألـونـي[٢]

أُنـمـي إلـى عـاديّـةٍ طَـحُـونِ،
يـنـشـقُّ عـنـهـا الـسـيـلُ ذو الـشـؤونِ[٣]

غَـمْـرٌ، يَـدُقُّ رُجُـحَ الـسّـفِـيـنِ،
ذو حَـدَبٍ، إذا يُـرى، حَـجُـونِ[٤]

تَـنـحَـلُّ أصـفَـادُ الـرجـالِ دونـي

(١) اليقين: الموت، أي يضرطن من خوف الموت.
(٢) أعنيكم: أؤذيكم، وأحزنكم، وأكلفكم ما يشقّ عليكم.
(٣) العادية: أي قبيلة قديمة. طحون: تطحن في الحروب. الشؤون: الخطوب والأمور، والمراد أن هذه القبيلة قوية عظيمة كالسيل الجارف.
(٤) الغمر: الماء الكثير. يدق: يكسر، أو يضرب ويهشّم. رجح السفين: السفن الثقيلة الموقرة. الحدب: ارتفاع السيل وتراكبه في جريه. الحجون: البعيد الطويل، أو الذي يجري في غير مجراه.
أورد لسان العرب بيتاً لا يوجد في الديوان ١٥: ٤٥٠ مادة (ذا) «فأما ما أنشده اللحياني عن الكسائي لجميل من قوله:
وأتى صواحِبُها فقلْنَ: هذا الذي مَـنَـحَ الـمـودةَ غـيـرنـا وجـفـانـا
فإنه أراد أذا الذي؟ فأبدل الهاء».